لماذا يكذب الكذَّاب ؟

قال الإمام الماوردي رحمه الله في ذلك :

١ـ اجتلاب النفع واستدفاع الضرّ ، فيرى أن الكذب أسلم وأغنم ، فيرخص لنفسه فيه اغتراراً بالخدع واستشفافاً للطمع ، لكن هل يجني من الشوك العنب ؟ وهل يجني من الكرم الحنظل ؟

ومن هنا كان الفاروق عمر رضي الله عنه يقول : لأن يضعني الصدق وقلَّما يفعل ، أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب وقلَّما يفعل .

٢ـ أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذباً وكلامه مستظرفاً ، فلا يجد صدقاً يعذب ولا حديثاً يستظرف ، فيستحلي الكذب الذي ليست غرائبه معوزة ، ولا ظرائفه معجزة ، وهذا النوع أسوأ حالاً ممّا قبل ، لأنه يصدر عن مهانة النفس ودناءة الهمَّة ، لذلك قال الجاحظ :

لم يكذب أحدٌ قطُّ إلا لصغر قدر نفسه عنده .

٣ـ أن يقصد بالكذب التشفِّي من عدوه فيسمه بقبائح يخترعها عليه ، ويصفه بفضائح ينسبها إليه ، ويرى أن معرَّة الكذب غُنْم ، وأن إرسالها في العدو سهم وسمٌّ ، وهذا أسوأ حالاً من النوعين الأولين ، لأنه قد جمع بين الكذب المعرِّ والشرِّ المُضرِّ ، ولذلك ردع في الشرع برد شهادة العدو على عدوه .

٤ـ أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى ألفها ، فصار الكذب له عادة ونفسه إليه منقادة ، حتى لو رام مجانبة الكذب عسر عليه ، لأن العادة طبع ثانٍ ، وقد قال الحكماء : من استحلى رضاع الكذب عسر فِطامه ! ![1] .

---

(١) من أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري الماوردي : ٢٦٩ .